الحَدِيثُ السَّادِسُ والثَّلاثُونَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ][(١)].

هَذَا الحَدِيثُ كَأَنَّهُ مُقَابِلٌ لِلْحَدِيثِ الذِي قَبْلَهُ، الحَدِيثُ الذِي قَبْلَهُ نَهَى عَنْ الخِصَالِ الذَّمِيمَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ بِالخِصَالِ الحَمِيدَةِ؛ فَلِذَلِكَ جَعَلَهُ المُصَنِّفُ بَعْدَهُ، وَهَذَا مِنْ فِقْهِهِ رَحِمَهُ اللهُ، يَعْنِي: بَدَلَ أَنْ تَتَّصِفَ بِالصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ فِي الحَدِيثِ الذِي قَبْلَهُ، الوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ:

الأُولَى: قَوْلُهُ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» تَنْفِيسُ الكُرْبَةِ عَنْ أَخِيكَ، إِذَا وَقَعَ أَخُوكَ فِي كُرْبَةٍ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ فَإِنَّكَ تُنَفِّسُ عَنْهُ، وَالتَّنْفِيسُ: التَّوْسِعَةُ، يَعْنِي تُوَسِّعُ عَلَيْهِ الضَّائِقَةَ المَالِيَّةَ، بِأَنْ تُقْرِضَهُ أَوْ تَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَالضَّائِقَةُ غَيْرُ المَالِيَّةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

كَأَنْ يَكُونُ فِي هَمٍّ وَغَمٍّ فَتُسَرِّي عَنْهُ وَتُفْرِحُهُ وَتُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ نَفَّسَ اللهُ عَنْكَ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَأَنْتَ سَتَقَعُ فِي كُرْبَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَإِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا نَفَّسْتَ عَنْ أَخِيكَ نَفَّسَ اللهُ عَنْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَسَّعَ لَكَ.

قَوْلُهُ: «**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»؛ كَذَلِكَ المعْسِرُ وَهُوَ الذِي عَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ سَدَادَهُ، فَإِنْ كَانَ الدَّيْنُ لَكَ فَإِنَّكَ إِمَّا أَنْ تُنْظِرَهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ، وَإِمَّا أَنْ تُسْقِطَ عَنْهُ الدَّيْنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٠]، فَإِمَّا أَنْ تُنْظِرَهُ إِلَى أَجَلٍ آخَرٍ بِدُونِ أَنْ تُزِيدَ عَلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ تُسْقِطَ عَنْهُ الدَّيْنَ، وَهَذَا أَحْسَنُ، وَهُوَ مِنَ التَّيْسِيرِ عَلَى المُعْسِرِ، هَذَا إِذَا كَانَ الدَّيْنُ لَكَ، أَمَّا إِذَا كَانَ الدَّيْنُ لِغَيْرِكَ فَمِنَ التَّيْسِيرِ عَلَيْهِ أَنْ تُسَاعِدَهُ بِمَا يُسَدِّدُ دَيْنَهُ، أَوْ يُخَفِّفَهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» هَذَا ضِدُّ الغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ التِي سَبَقَ النَّهْيُ عَنْهَا فِي الحَدِيثِ الذِي قَبْلَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ عَلَى أَخِيكَ نَقْصًا فِي دِينِهِ فَبَادِرْهُ بِالنَّصِيحَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَرُبَّمَا يَكُونُ جَاهِلاً، أَوْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ أَوْ الشَّيْطَانُ، فَأَنْتَ تَنْصَحُهُ وَتُبَيِّنُ لَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ سِرًّا، وَتَسْتُرُ عَلَيْهِ، وَلَا تَفْضَحْهُ فِي المَجَالِسِ وَعَنْدَ النَّاسِ.

قَوْلُهُ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» هَذَا عَامٌّ، فَإِذَا أَعَنْتَ أَخَاكَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الإِعَانَةِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللهَ يَكُونَ فِي عَوْنِكَ، يَعْنِي: يُعِينُكَ؛ لِأَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يُعِينَكَ اللهُ فَإِنَّكَ تُعِينُ إِخْوَانَكَ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ: مِنَ المَالِ، أَوِ الجَاهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا» يَعْنِي: العِلْمَ الشَّرْعِيَّ الدِّينِيَّ، أَمَّا سُلُوكُ الطَّرِيقِ لِلْعِلْمِ الدُّنْيَوِيِّ فَهَذَا مُبَاحٌ، وَلَكِنَّ سُلُوكَ الطَّرِيقِ لِلعِلْمِ الشَّرْعِيِّ هَذَا مَشْرُوعٌ، قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، أَوْ مُسْتَحَبًّا، وَسُلُوكُ الطَّرِيقِ يَشْمَلُ الطَّرِيقَ الحِسِّيَّ بِأَنْ تُسَافِرَ وَتَرْحَلَ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَيَشْمَلُ الطَّرِيقَ المَعْنَوِيَّ، بِأَنْ تَقْرَأَ وَتحْفَظَ، وَتَتَفَهَّمَ النُّصُوصَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هَذَا سُلُوكٌ لِطَرِيقِ العِلْمِ، شِرَاءُ الكُتُبِ النَّافِعَةِ، القِرَاءَةُ فِيهَا وَالتَّأَمُّلُ فِيهَا، وَدِرَاسَتُهَا عَلَى العُلَمَاءِ، هَذَا مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَهُوَ طَرِيقٌ مَعْنَوِيٌّ.

قَالَ: «سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»؛ لِأَنَّ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ هُوَ الذِي يُبَيِّنُ الطَّرِيقَ لِلْجَنَّةِ، فَالعَمَلُ الصَّالِحُ وَتَرْكُ العَمَلِ السَّيِّئِ طَرِيقٌ إِلَى الجَنَّةِ، وَلَنْ تَسْلُكَ طَرِيقَ الجَنَّةِ إِلَّا بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الذِي تَعْرِفُ بِهِ المَشْرُوعَ مِنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ تجْتَهِدُ فِي عِبَادَةٍ أَوْ فِي شَيْءٍ وَهُوَ طَرِيقُكَ إِلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ طَرِيقًا مَشْرُوعًا، وَلَا يُؤَدِّيكَ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا يُؤَدِّيكَ إِلَى النَّارِ؛ كَالبِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ وَالخُرَافَاتِ، وَلَوِ اجْتَهَدْتَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ فَأَنْتَ تَسِيرُ إِلَى النَّارِ، أَمَّا الطَّرِيقُ الذِي يُؤَدِّي إِلَى الجَنَّةِ فَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا، وَلَا إِلَى تَقْلِيدِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، أَوْ لِلاسْتِحْسَانَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ لَنَا طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَلْزَمَ هَذَا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ إِلَى الجَنَّةِ قَطْعًا، أَمَّا مَا خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ إِلَى النَّارِ، فاتْرُكْهُ.

قَالَ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْـمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» هَذَا فِيهِ أَنَّ طَلَبَ العِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي المَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهَا بُيُوتُ اللَّـهِ، وَمَأْوَى المَلَائِكَةِ، وَفِيهَا السَّكِينَةُ وَالرَّحْمَةُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَلَبُ العِلْمِ فِي المَسَاجِدِ، لَا فِي المُخَيَّمَاتِ وَلَا فِي الاسْتِرَاحَاتِ، وَلَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَجْلِسٌ عِلْمِيٌّ، أَوْ هُنَاكَ مَدْرِسَةٌ يُدْرَسُ فِيهَا العِلْمُ، لَكِنَّ المَسْجِدَ أَفْضَلُ، مَهْمَا أَمْكَنَ أَنْ تَكُونَ الدِّرَاسَةُ فِي المَسْجِدِ فَذَلِكَ أَفْضَلُ، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ مَجْلِسٌ عِلْمِيٌّ مُنْضَبِطٌ فَلَا بَأْسَ، لَكِنَّهُ أَقَلُّ أَفْضَلِيَّةً مِنَ المَسْجِدِ، «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّـهِ**» يَعْنِي: المَسَاجِدَ، «**يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّـهِ**» يَقْرَؤُونَهُ، وَيَتَعَلَّمُونَ قِرَاءَتَهُ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ وَيَحْفَظُونَهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ أَصْلُ العِلْمِ، «**وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ**» يَفْهَمُونَ مَعَانِيهِ، وَلَيْسَ المَقْصُودُ الحِفْظَ فَقَطْ وَأَنَّكَ تَحْفَظُ القُرْآنَ وَتُتْقِنَهُ بِالقِرَاءَاتِ العَشْرِ، لَا، هَذَا وَسِيلَةٌ وَلَيْسَ هُوَ المَقْصُودَ، وَالمَطْلُوبُ أَنَّكَ تَتَفَهَّمُ وَتَفْقَهُ مَعَانِيهِ وَتَعْمَلُ بِهِ:

أَوَّلاً: تَقْرَؤُهُ. ثَانِيًا: تَفْهَمُهُ. ثَالِثًا: تَعْمَلُ بِهِ.

وَالعَمَلُ بِالقُرْآنِ هُوَ المَطْلُوبُ، وَلَكِنَّ حِفْظَهُ وَتجْوِيدَهُ وَتَفَهُّمَ مَعَانِيهِ وَتَفْسِيرَهُ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيحِ، هَذِهِ وَسَائِلُ العَمَلِ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ.

قَوْلُهُ: «**إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ**» الهُدُوءُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالرَّاحَةُ.

قَوْلُهُ: «**وَحَفَّتْهُمْ الْـمَلائِكَةُ**» المَلَائِكَةُ تُؤَيِّدُ المُؤْمِنِينَ، تَنْزِلُ عَلَى طَلَبَةِ العِلْمِ تُؤَيِّدُهُمْ، وَتَدْفَعُ عَنْهُمْ الشَّيَاطِينَ، وَتَنْزِلُ عَلَى المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ تُسَدِّدُهُمْ وَتُشَجِّعُهُمْ عَلَى القِتَالِ، وَتُنَفِّرُ عَنْهُمْ العَدُوَّ، فَهِيَ تَنْزِلُ عَلَى المُؤْمِنِينَ فِي مَوَاطِنِ الجِهَادِ، وَمَوَاطِنِ العَمَلِ الصَّالِحِ، تُسَاعِدُ المُسْلِمِينَ

وَتُعِينُهُمْ، «حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ» يَعْنِي: أَحَاطَتْ بِهِمْ فَلَا يَنْفُذُ إِلَيْهِمْ شَرٌّ وَلَا أَحَدٌ، «وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أَيْ: فِي المَلَأِ الأَعْلَى، فَيَذْكُرُهُمُ اللهُ ذِكرَ تَشْرِيفٍ، وَيُخبِرُ بِهِمُ المَلَأَ مِنْ المَلَائِكَةِ، وَيُبَاهِي بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ طَلَبِ العِلْمِ، وَوُجُوبِ إِعْطَائِهِ كَثِيرًا مِنَ الوَقْتِ وَالعِنَايَةِ، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ هَذِهِ المَزِيَّةَ فَلْيُعْطِ مِنْ وَقْتِهِ وَمِنْ جُهْدِهِ لِطَلَبِ العِلْمِ، عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، وَفِي بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُعَمِّرْ بُيُوتَ اللَّهِ بِطَلَبِ العِلْمِ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» العِبْرَةُ بِالعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ، لَوْ كُنْتَ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ - مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَشْرَفِ بَنِي آدَمَ - لَكِنَّكَ لَمْ تُوَفَّقْ لِلْعَمَلِ لَمْ يَنْفَعْكَ النَّسَبُ، فَهَذَا أَبُو لَهَبٍ فِي جَهَنَّمَ وَهُوَ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا بِلَالٌ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ وَهُوَ مِنْ سَادَاتِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، فَالعِبْرَةُ بِالعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ، فَمَنْ اتَّكَلَ عَلَى نَسَبِهِ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ مَعَ الخَالِفِينَ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا صَارَ مَعَ المُتَقَدِّمِينَ، فَالعِبْرَةُ بِالعَمَلِ لَا بِالنَّسَبِ.

قَوْلُهُ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ» يَعْنِي: أَخَّرَهُ عَمَلُهُ عَنِ الخَيْرِ «لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» فَأَنْتَ لَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ بِالنَّسَبِ، وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَدْخُلُ الجَنَّةَ بِالعَمَلِ وَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَقَلِّ النَّاسِ نَسَبًا، وَلَوْ كُنْتَ مِنَ العَجَمِ، فَإِنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ، فَلَا يَجُوزُ التَّفَاخُرُ بِالأَنْسَابِ وَالأَحْسَابِ وَيُظَنَّ أَنَّهَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

❊ ❊ ❊